

الهداية

[153] فإذا وجبت طاعة علي عليه السلام على الخلق استحق معنى الإمامة. فإن قالوا:

إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم إنما جعل لعلي عليه السلام بهذا القول فضيلة شريفة وإنها ليست الإمامة. قيل لهم: هذا في أول تأدي الخبر إلينا قد كانت النفوس تذهب إليه، فأما تقسيم الكلام وتبيين ما يحتمله وجوه لفظة " المولى " في اللغة حتى يحصل المعنى الذي جعله لعلي عليه السلام بها فلا يجوز ذلك، لأنها قد رأينا أن اللغة تجيز في لفظة " المولى " وجوها كلها لم يعنها النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقوله في نفسه ولا في علي عليه السلام وبقي معنى واحد، فوجب أنه الذي عناه في نفسه وفي علي عليه السلام وهو ملك الطاعة. فإن قالوا: فلعله قد عني معنى لم نعرفه لأننا لا نحيط باللغة. قيل لهم: ولو جاز ذلك لجاز لنا في كل ما نقل عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكل ما في القرآن أن نقول لعله عني به ما لم يستعمل في اللغة وتشكل فيه وذلك تعليل وخروج عن التفهم ونظير قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: " ألت أولى بالمؤمنين من أنفسهم " فلما أقرؤا له بذلك قال: " فمن كنت مولاه فعلي مولاه " قول رجل لجماعة: أليس هذا المتاع بيني وبينكم نبيعه والربح بيننا نصفان والوضيعة كذلك؟ فقالوا له: نعم. قال: فمن كنت شريكه فزيد شريكه. فقد أعلم أن ما عناه بقوله: " فمن كنت شريكه " [أنه] إنما عني به المعنى الذي قرره به بدءاً من بيع المتاع واقتسام الربح والوضيعة، ثم جعل ذلك المعنى الذي هو الشركة لزيد بقوله: " فزيد شريكه ". وكذلك قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: " ألت أولى بالمؤمنين من أنفسهم " وإقرارهم له بذلك ثم قوله صلى الله عليه وآله وسلم: " فمن كنت مولاه فعلي مولاه " إنما هو إعلام أنه عني بقوله، المعنى الذي أقرؤا به بدءاً وكذلك جعله لعلي عليه السلام بقوله: " فعلي مولاه " كما جعل ذلك الرجل الشركة لزيد بقوله: " فزيد شريكه " ولا فرق في ذلك.